البحث
٤

التصنيع والسلوك الإنجابى
دراسة ميدانية

إعـداد
د. جمال إسماعيل محمد الطحاوى
مدرس علـم الاجتمـاع
كلية الآداب - جامعة المنيا

ديسمبر ١٩٩١

مقدمة :

لقد أدى ظهور الصناعة على نطاق كبير وانتشارها فى مختلف أنحاء المعمورة إلى أحداث تغيير فى نمط حياة السكان ، ونظرا لما أحدثه التصنيع بين تغييرات جوهرية فى البناء الاجتماعى للمجتمع ، اتجهت جهود كثير من علماء الاجتماع إلى الميدان الصناعى لدراسة وتحليل الظواهر والعمليات الاجتماعية الناتجة عن التصنيع ، ومن ثم احتل علم الاجتماع الصناعى كفرع من فروع علم الاجتماع مكانا بارزا بين تلك الفروع ، وامتد اهتمام هذا العلم من البحث في الجوانب المختلفة للحياة الاجتماعية للوسط الصناعى إلى البحث عن العلاقة القائمة بين هذا الوسط والأوساط الأخرى في المجتمع ، فلم يعد المصنع مجرد مؤسسة أو هيئة منتجة بل تعدى حدود بنائه الفيزيقي وتخطى الأسوار ، ووصل تأثيره إلى ما وراء الأسوار والمبانى ، إلى كل الهيئات والوحدات والمؤسسات الاجتماعية فى المجتمع وأصبحت العلاقة بين المصنع والمجتمع علاقة قوية وواضحة ، وهى بلا شك علاقة تبادلية بمعنى أن المصنع يؤثر ويتأثر بكل مؤسسات المجتمع حكومية كانت أو أهلية .

ولقد أمتدت نتائج التصنيع إلي كل من الريف والحضر حيث دخلت الميكنة الزراعية واستخدم الأسلوب الصناعى في الاقتصاديات الزراعية ، كما تطورت حياة أبناء الريف الاجتماعية والاقتصادية بصورة لا تقل عن حياة سكان الحضر .

فالتصنيع يعتبر أهم الأسباب الأساسية للتماثل إلى حد كبير من تغيير حياة الريف إلى مستوى حياة الحضر ، فتشييد المصانع فى السنوات الأخيرة بعيدا عن المدن وقريبا من التجمعات الريفية ، كما هو الحال في عرض دراستنا الراهنة حيث شيد مصنع الغزل والنسيج التابع لشركة مصر الوسطى بعيدا عن مدينة المنيا وبالقرب من مجموعة من القرى أهمها قرية ماقوسة المجال الجغرافى لدراستنا ، ومن قبل هذا المصنع شيد مصنع النيل لحليج الأقطان في شمال مدينة المنيا ووسط تجمع ريفى يضم مجموعة من القرى ، دمارسى والأخصاص والبرجابة .

ومن الدراسات الرائدة وهى قريبة من دراستنا الراهنة التى أجريت حول تصنيع المجتمعات المحلية الريفية وما أحدثته عملية التصنيع من تغير اجتماعى في

المجتمع المحلى ، تلك الدراسة التى قام بها مانيج ناش : Manning Nash التى أجريت في قرية كانتل الواقعة في المرتفعات القريبة لجواتيمالا بأمريكا اللاتينية حيث أنشئ بها مصنع للنسيج سنة ١٨٦٧م ، ولقد توصل إلى مجموعة من النتائج التى ربطت بين مصاحبات التصنيع وأثرها علي مكونات البناء الاجتماعى وخصوصا نسق الأسرة ، ونمط الثقافة السائدة في المجتمع المحلى ومن أهم هذه النتائج : -

١ - أن العمل بالصناعة استطاع أن يحفظ للعمال وأسرهم الحياة الاقتصادية ، وكذا رفع من مستواهم المعيشى وزيادة الدخل الأسرى ، الذى تميز عن طريق الصناعة بالاستمرار والانتظام ، ولقد لاحظ (ناش) من منظور المقارنة بين أسر عمال الصناعة وأسر عمال الزراعة أن أسر عمال الصناعة حصلت على مستوى أكثر ارتفاعا في المعيشة عن عمال الزراعة ، هذا بالاضافة إلى أن عمال الصناعة أخذوا فى إقتناء بعض الآلات كأجهزة الراديو وغيره .

٢ - لاحظ ناش أن معدلات استهلاك الطعام من حث الكم والكيف لدى عمال الصناعة وأسرهم قد ارتفعت ارتفاعا ملحوظا بما لدى عمال الزراعة .

٣ - ما أتى به ناش من تغير على نسق الأسرة يتضمن أن الصناعة لم تحدث خللا أو آثارا سلبية فى النظم الاجتماعية نتيجة لوجود المصنع وخصوصا نسق الحياة العائلية ، بل لاحظ أن هناك تكاملا بين المصنع والبناء للمجتمع المحلى ، أو يعزو الباحث تفسيره إلى أن هذه النتيجة ترجع إلي المتبررات التالية : -

أ - أن طبيعة البناء الاجتماعى والثقافى قد سمحت للسكان بأن يختاروا من الصناعة ما ينسق حياتهم الاجتماعية وأنهم لم يقدموا على المصنع والحياة الصناعية إلا بعد تحققهم بأن هذا المصنع سوف يحقق أهدافهم .

ب - أن البناء الاجتماعى للمجتمع المحلى لم يسمح بانفصال عامل المصنع من مجتمعه المحلى بشكل جعلهم ينصاعون لوسائل الضبط الاجتماعى السائدة في القرية .

جـ - يرجع عدم تغيير شكل بناء الأسرة النووية باعتبارها الوحدة الاجتماعية المألوفة للبناء الاجتماعى وذلك بأن هذا البناء لم يسمح بتغير هذا

الشكل الذى يعتبر وحدة جمعية أساسية تحمى أعضاءها من التوتر والاحباط .[1]

وتجدر الاشارة إلى أن هناك العديد من الدراسات التى أجريت فى مصر حول هذا الموضوع وخاصة بعد التوسع فى إنشاء المصانع الكبيرة والصغيرة في كافة أنحاء البلاد .

ومن ثم فانه لا يمكن اغفال دور التصنيع فى تغير الكثير من القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد ، بل يمكن القول تغير أنماط السلوك ، ولما كانت جمهورية مصر العربية تعانى من الزيادة السكانية وعدم التوازن بين الموارد المادية والبشرية فى المجتمع ، وذلك لعدة أسباب وعوامل يبدو من أهمها زيادة معدل المواليد بصورة ملحوظة تسبق معدلات التنمية الاجتماعية والاقتصادية ، فلقد قدر عدد سكان مصر في عام ١٨٠٠م بنحو مليونين ونصف المليون ، وتضاعف عددهم بعد خمسين عاما فبلغوا فى عام ١٨٥٠م نحو خمسة ملايين ، ثم تضاعف عددهم مرة ثانية بعد خمسين عاما أخرى ، إذ بلغ عددهم فى عام ١٩٠٠م نحو عشرة ملايين ، ثم تضاعف عددهم إذ بلغوا عام ١٩٥٠م نحو عشرين مليونا ، ويصل الآن إلى ستة وخمسين مليونا ، ومعنى هذا أن سكان مصر ظلوا يتضاعفون مرة كل خمسين عاما منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ، فقد أصبح معدل النمو السنوى تتراوح بين ٢ ، ٣٪ بعد أن ظل طوال مائة وخمسين عاما يتراوح بين ١ ، ٢٪ فقط ، وتؤكد احصاءات التسجيل الحيوى الخاصة بالمواليد والوفيات هذا التغيير الذى طرأ على معدلات النمو السكانى ، فقد شهدت معدلات الزيادة الطبيعية التى تمثل الفرق بين المواليد والوفيات زيادة ملحوظة في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وأخذت منذ ذلك الوقت تتراوح بين ٢٠ ، ٣٠ في الألف بعد أن كانت تقل باستمرار عن ٢٠ فى الألف حتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ويرجع ارتفاع معدل الزيادة الطبيعية في المقام الأول إلي الانخفاض المطرد

---

(١) محمد عباس إبراهيم ، التصنيع والمدن الجديدة ، دراسة أنثروبولوجية لمدينة كيما بأسوان ، السلسلة السوسيوأنثروبولوجية ، الكتاب السادس ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٦م ، ص ٣٨ - ٣٩ .

ملكية وسائل الانتاج ، ولكن بالطبع عندما يكون هناك مئات أو آلاف العمال في جهة ، وعدد قليل من الملاك فى الجهة الأخرى ، فان مشكلة معينة لابد وأن تعرض ، وهى المشكلة الخاصة بالعلاقة بين هؤلاء الملاك وبين العمال المكدسين ، ومن هنا تحتاج كافة المجتمعات الصناعية إلى تنظيم معين لجماهير العمال وإلى مناقشة واسعة لمشكلة الملكية الفردية لوسائل الانتاج ، تلك هى أبرز سمات المجتمع الصناعى كما حددها لنا آرون . (١)

ثانيا : مفهوم التصنيع وعلاقته بالتغير الاجتماعى :

يعتبر مفهوم التصنيع من المفاهيم الرئيسية فى هذه الدراسة باعتباره المتغير المستقل ، ومن هنا كان ضرورة عرض الأسس النظرية لهذا المفهوم خاصة أن هناك من المصطلحات العديدة التي وضعها علماء الاجتماع لشرح هذا المفهوم ، فيتناول الدكتور حسن الساعاتى مفهوم التصنيع بوصفة سياسية توجه النشاط الصناعى وفق خطة مرسومة لتحقيق أهداف يمكن بلورتها فى هدف نهائى اسمى وهو رفع مستوى المعيشة بحيث يحصل الفرد على آخر قسط من الراحة الجسمية والنفسية . (٢)

ويصف هنرى براتى Henry Bratt التصنيع بكونه العملية الخاصة بالتطور التكنولوجى عن طريق استخدام العلم التطبيقى وتتميز تلك العملية بانتشار الانتاج الواسع المدى باستخدام قوة الماكينة من أجل سوق كبير لكل من السلع الانتاجية والاستهلاكية وتتميز باستخدام القوى العاملة المتخصصة Special labor Forece عن طريق تقسيم العمل . (٣)

ويعرف توماس وهولت التصنيع بأنه مرحلة من التطور التكنولوجى أو الحراك تجاه هذه المرحلة التى تتميز بشكل خاص من الانتاج الضخم داخل المصانع الكبيرة التى تعمل بواسطة الآلة على نطاق واسع وتتضمن القوى العاملة المتخصصة التى تعمل بمبدأ تقسيم العمل وتتميز أيضا بالتحضر واستخدام الوسائل

---

(١) محمد الجوهرى . المرجع السابق ص ٢٢ .

(٢) حسن الساعاتى . علم الاجتماع الصناعى ، دار المعارف . القاهرة ١٩٧٦م ، ص ٢٦٨ .

(٣) **Henry Bratt,** Dictionary of Socilogy, New York, 1970 , P. 155.

هذا بجانب كل هذه التغيرات التى صاحبت التصنيع ، فإن هناك تغيراً فى زيادة عدد السكان وتحول السكان من الريف إلى المدن ومن إقليم لآخر ، والذى سار متوازيا مع قيام المصانع الجديدة ، حيث حدث إزدياد كبير فى عدد السكان جملة ، وتركز السكان فى مناطق جديدة حول المصانع وظهور ما يسمى بالمدن الصناعية . Industrial cities أو المجتمع الصناعى ، ويعرف ريموث أروف المجتمع الصناعى بأنه المجتمع الذى تشكل فيه الصناعة وأعنى الصناعة الكبيرة نوع الانتاج المميز وبذلك يصبح المجتمع الصناعى ذلك المجتمع الذى يتم فيه الانتاج داخل المنشآت الصناعية مثل منشآت رينو أوسيتروين . (١)

ويحدد ريمون آرون سمات خمس مميزة للمجتمع الصناعي على النحو التالى :

١ - نلاحظ أولا أن المنشأة الصناعية أصبحت منفصلة تماما عن الأسرة ، وإنفصال مكان العمل عن محيط الأسرة .

٢ - أن المنشأة الصناعية قد خلقت طريقة جديدة لتقسيم العمل "Labour division" وهو عبارة عن تقسيم تكنولوجى للعمل الذى يعتبر أحوى مميزات المجتمعات الصناعية .

٣ - تقوم المنشأة الصناعية على تراكم رأس مال . فالحضارة الصناعية تتطلب أن يعمل كل صانع برأس مال كبير وأن يتجدد رأس المال هذا ، ومن مفهوم المجتمع الصناعى يمكن أن يخرج مفهوم الاقتصاد المتقدم . وقد كان كارل ماركس أول من انتبه إلى هذه السمة من سمات المجتمعات الصناعية الرأسمالية .

٤ - ومنذ اللحظة التي يحتاج فيها العامل إلى رأس مال كبير يزدهر تعرض فكرة رابعة ، وهى فكرة الحساب العقلى ، ففى منشأة كبيرة يلزم أن يحسب القائمون عليها بصفة مستمرة ، لكى يحصلوا على أرخص تكلفة للسلعة التي ينتجونها ، ومن أجل أن يتجدد رأس المال وينمو باضطراد .

٥ - التركيز العمالى فى مناطق العمل ، وهنا تظهر مشكلة ملكية وسائل الانتاج ، فهناك تركيز عمالى فى كل مجتمع صناعى ، أيا كانت قوانين

---

(١) محمد الجوهرى . مقدمة فى علم الاجتماع الصناعى . سلسلة علم الاجتماع ، الكتاب السادس عشر ، ١٩٨٦م ، دار المعارف ، القاهرة ، ص ١٨ .

الفترة (١٧٦٠-١٨٥٠) مما أحدث ثورة فى الاقتصاد الانجليزى ، فما كان أساسا للنظام الزراعي في منتصف القرن الثامن عشر ، أصبح نظاما صناعيا فى منتصف القرن التاسع عشر ، ويشار إلى الثورة الصناعية إلى أنها عملية تحول أو تغيير أساسى فى تنظيم الصناعة وفى أدوات الإنتاج وسرعته وحجمه ، وفى طرق التعدين ، وأساليب التحويل والتوزيع ، وفى مستوى الإعداد الفنى اللازم للعمل فى الصناعة .

ولقد كان من النتائج المبكرة للثورة الصناعية ظهور نظام المصنع ، فالانتاج الصناعى "Industrial Production" فى الفترة اللاحقة للثورة الصناعية كان يتركز في المنازل وهو ما كان يسمى بنظام الانتاج المنزلى ، وكان هذا الانتاج يتميز بالعمل الذى يساهم فيه كل أعضاء الأسرة الأم والأب والأطفال من أجل الوصول إلى إنتاج سلعة متكاملة وكانت ساعات العمل طويلة ، والعمل شاق ، والأجور ليست مغرية ، وهذا الشئ ينطبق أيضا على العاملين فى المجال الزراعى ، وهذه الأوضاع قبل الثورة الصناعية ، فماذا حدث بعدها ؟

فى الواقع أن التصنيع وعلى الرغم من أنه قد أدى إلى إرتفاع فى دخول العمل ، وتحسين أحوالهم الاقتصادية ، إلا أنه كانت له آثار أخرى وتتركز فى أربعة تغيرات أساسية أوجدها نظام التصنيع Industrial System وهي : -

١ - أصبحت الآلة فى موقف منافسة دائم مع العمل .

٢ - يعتمد العامل فى إعاشته على شخص يمتلك أدوات الانتاج ويتحكم فى ظروف العمل عكس العامل الزراعى أو الحرفى الذى يقوم بالانتاج داخل منزله ، فهو المتحكم فى ظروف عمله ، ولقد كانت لهذه العملية آثارها الخطيرة على نفسية العامل والذى فسره ماركس فى مفهوم الاغتراب .

٣ - أصبح على العامل أن يغير دائما من مكان إقامته كاستجابة لمتطلبات التكنولوجيا المتغيرة والفرص السانحة للعمل .

٤ - العمل في الصناعة الحديثة يتطلب من العمال الدقة والانتظام فى المواعيد ، وهذا أعطى أهمية كبرى لعنصر الوقت فى العمل وهو النظام الذى لم يكن معمولا به خلال العمل الزراعى ، ونظام الانتاج المنزلى قبل الثورة الصناعية . (١)

(١) William A. Faunce, Reading in Industrial Socilogy, Meredith Publishing Company, 19( ). P. 76.

الفصل الأول

الأسس النظرية للعلاقة بين التصنيع والخصوبة

المبحث الأول

التصنيع والتغير الاجتماعى

الأسس النظرية للعلاقة بين التصنيع والخصوبة :

مدخل لفهم التصنيع :

من المتفق عليه أن التصنيع كعملية إقتصادية وإجتماعية Economic and Social Process تعد من أهم العمليات المؤثرة فى البناء الاجتماعى للمجتمع الانسانى . فالتصنيع هو نظام الانتاج الذى برز وظهر من خلال التطور التكنولوجى ودراسة واستخدام المعرفة العلمية Scientific Knowledge . ويقوم على أساس من تقسيم العمل والتخصص : Labour division واستخدام الأدوات الميكانيكية والقوة المحركة والعمليات الفعلية والتنظيمية فى الانتاج .

وعندما نتناول التصنيع Industrialization فى هذا الجزء من الدراسة . سوف نحاول القاء الضوء على القضايا التالية :

١ - مفهوم التصنيع وعلاقته بالتغير الاجتماعى .

٢ - التصنيع وتغير البناء الاجتماعى .

٣ - الثورة الصناعية وظهور نظام المصنع والمجتمع الصناعى .

أولاً : الثورة الصناعية وظهور المصنع والمجتمع الصناعى :

Industrial Revolution and Factory System, Industrial Society

لاجدال أن الثورة الصناعية تعتبر أهم حدث فى القرن الثامن عشر ، حيث شهد هذا القرن تلك الاكتشافات الضخمة التى ساهمت بفعالية فى نهضة أوروبا في البداية ثم الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك ، ويشير مفهوم الثورة الصناعية إلى تلك السلسلة من الاختراعات التكنولوجية والاقتصادية التى حدثت فى إنجلترا في

في غاية الأهمية وهو هل يؤثر المستوى الاجتماعى - الاقتصادى على السلوك الانجابى ؟ أو هل هناك فروق بين أصحاب المهن المختلفة واتجاهاتهم نحو حجم الأسرة والسن عند الزواج ؟ وغير ذلك من محددات السلوك الانجابى ؟ وأن الاجابة على هذا السؤال سوف يكشف عنها خلال مناقشة السلوك الانجابى ، ومحدداته واتجاهاته والعلاقة بين الخصوبة (السلوك الانجابى) والبناء الاجتماعى - الاقتصادى للمجتمع ، وذلك باعتبار أن الاتجاه نحو الانجاب كما أكدت ذلك العديد من الدراسات الميدانية يختلف باختلاف المستوى الاجتماعى الاقتصادى للأفراد .

وفى دراستنا الراهنة نستخدم مفهوم السلوك الانجابى كمرادف لكلمة الخصوب ، كما فضلنا استخدام كلمة التصنيع بدلا من الصناعة وذلك لأن المجال الجغرافى للبحث (منطقة البحث) لا تتسم بكونها منطقة يتعدد بها الانتاج الصناعى ، إنما بيئة ريفية أقيم فيها صناعة الغزل والنسيج أى أن الانتاج الصناعى بها محدود وليست منطقة صناعة واضحة المعالم كمنطقة حلوان ، أو المحلة الكبرى ، أو منطقة الهو بنجع حمادى التى أقيم فيها مجمع الألمنيوم ، ومما تجدر الاشارة اليها أن المنطقة ما زالت تتسم بطابعها الريفى ولم تتحول إلى منطقة حضرية كما قد يتطرق للذهن أن مجرد وجود الصناعة فى منطقة ما ، وترك أغلبية الفلاحين مهنة الزراعة والاشتغال بالصناعة تحولها إلى منطقة حضرية ، وفى ضوء ذلك سيتم قياس اختلاف السلوك الانجابى بين مجموعتين سكانيتين تعيشان فى منطقة ريفية واحدة ، ولكنهما تختلفان فى النشاط الاقتصادى حيث تعمل إحداهما بالزراعة والأخرى بالصناعة .

والله من وراء القصد .

الباحث